الجواري في العصر المملوكي (دراسة تاريخية)

م. سحر عبد الله محمد
الجامعة المستنصرية /كلية التربية / قسم التاريخ

المستخلص

عرفت الأمم الرق منذ أقدم العصور والتي كانت الحروب مصدرا أساسيا له متمثلا ذلك في الأسر أو كجزء من الفريضة المفروضة على الخاسرين , وعدت بلاد النوبة و الحبشة من ألاماكن الرئيسية التي جلب منها الرقيق الأسود في زمن المماليك كما كانت بلاد القفجاق و الأرمن أحدى تلك ألاماكن لجلب الرقيق الأبيض و من ضمنها الجواري , ليتم بيعهن في أماكن البيع ضمن نطاق السلطنة المملوكية,فكان خان مسرور و أسواق أسيوط و القاهرة مشهورة في بيع الجواري في مصر أما في الشام فكان سوق المارستان و سوق ألشيخي و خان الدكة أو التكة الذي يجري فيه بيع الجواري في يومي الاثنين و الخميس من كل أسبوع هو الأشهر في دمشق , و يدعى بائع الرقيق و الجواري بـــ(النخاس) الذي يشترط أن يكون أمينا و عادلا و مشهورا بالعفة و الصيانة . ومن مظاهر اهتمام السلاطين و الأمراء في اقتناء الجواري و جمعهن في العصر المملوكي هو أن بعض هؤلاء كانت أمهاتهم في الأصل من الجواري كما عدت الأخيرة من الهدايا التي يتلقاها السلاطين من غيرهم من الحكام و الأمراء , و قد اسند للجواري الكثير من الأعمال في المجتمع المملوكي فهن متعة السلاطين و الأمراء و كبار الأثرياء , منهن المحضيات و منهن المغنيات و منهن من يقمن بأعمال الخدمة و غير ذلك , مما تطلب من المجتمع أن يعاملهن معاملة إنسانية لائقة ليتم الوئام بينهن و بين المجتمع , فمنحت الحرية لبعضهن جزيل ما قدمن من خدمات جليلة لأسيادهن و البعض الآخر لقي العقوبة حتى الموت جزاء ما اقترفته أيديهن من أعمال تنم عن الخيانة و الغدر تجاه أسيادهن.

المقدمة:

يعد هذا الموضوع من المواضيع التي تلقي الضوء على الجواري باعتبارها من نسيج المجتمع المملوكي، إذ تنافس السلاطين والأمراء في دولة المماليك على شراء الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود، واقتناء الحسان منهن للنكاح والانس والخدمة وغير ذلك، ويرجع الاهتمام بالجواري كون أساس الدولة المملوكية متمثلا بالطبقة الحاكمة كان من المماليك الذين أدوا دور الأسياد بعد أن كانوا عبيدا أرقاء ومن خلال ما تجمع من مادة بحثية يمكن تقسيم البحث إلى مصادر جلب الجواري، وأماكن بيعهن في السلطنة المملوكية، والأصول المرعية في عملية البيع والشراء ليتم تناول حياتهن بعد ذلك في قصور السلاطين، وبيوت الأمراء، والأعمال التي تسند إليهن، والمعاملة التي يتلقينها.

أولا: مصادر وأماكن جلب الجواري:

عرفت الأمم الرق منذ أقدم العصور، وكانت الحروب مصدرا أساسا له، وتمثل في الأسر أو كجزء من الضريبة المفروضة على الخاسرين بعد أن أدرك المنتصرون إن

الإبقاء على الأسرى أفضل من قتلهم، ولم تكن الحروب وحدها المصدر الأوحد لجلب الجواري، فقد دفع الفقر البعض إلى بيع أولادهم أو بيع أنفسهم تخلصا من الفقر وللحصول على لقمة العيش، وقد فطن البعض إلى ما يحققه الاسترقاق من قيمة اقتصادية فاقبلوا على خطف الصغار والكبار رجالا ونساء، ثم باعوهم في أسواق الرقيق، فأضحى البيع مصدرا رديفا، وبذا اتسع الاسترقاق. وبلاد النوبة من الأماكن الرئيسة التي يجلب منها الرقيق الأسود في زمن المماليك وقبله، وأهلها يتجارون مع المسلمين عن طريق مبادلة الرفيق بالمواشي والحبال والحديد والحبوب[١]. فقد أرسل السلطان الظاهر بيبرس جيشه إلى بلاد النوبة في سنة(٦٧٤هـ/١٢٧٥) لقتال ملكها الذي دخل مدينة أسوان، ونهب ما فيها واحرقها، فسار جيش الظاهر إليه، وتقاتل معه، وانتهى الأمر إلى إلحاق الهزيمة بجيش لنوبة، وهروب ملكها، وقتل م عسكره ما لا يحصى، واسر أخوه وأولاده وأقاربه، وغنموا من جيش النوبة غنائم كثيرة من عبيد، وجواري، وخيول، وغير ذلك[٢].

وكرر ملك النوبة فعلته في سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، حيث هجم على مدينة أسوان ،ونهب ما فيها، واحرقها، فلما بلغ السلطان المنصور قلاوون ذلك ، أرسل الأمير ايبك الاثرم مع جماعة من العسكر، فلما وصلوا إلى هناك هرب منهم ملك النوبة، فتتبعوه إلى آخر النوبة، وهزموه شر هزيمة، وغنموا منه اشياء كثيرة، من بينها الجواري والعبيد والخيول والجمال، وغير ذلك،ورجعوا بكل ذلك إلى مصر[٣].

وحضر ملك النوبة إلى الأبواب السلطانية[٤] سنة(٧١٢هـ/١٣١٢م)، وبصحبته هدية عظيمة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، منها، ألف رأس رقيق من العبيد والجواري، فأكرمه السلطان واخلع عليه[٥].

وبلاد القفجاق احد المصادر الأخرى لجلب الجواري، ومن ذلك إن ملكها طقطاي أرسل هدية وتحفا وجواري كثيرة في سنة(٧٠٤هـ/١٣٠٤م)، منهن للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومنهن للبيع، إلا إن معظم الجواري غرقن في البحر، وبقي منهن القليل، ولما حضر رسول طقطاي قدم بعضهن للسلطان الناصر، وباع الباقي[٦].

وكان لشغف السلاطين بجمع الجواري الحسان أثره في ازدياد الجواري في العصر مملوكي فمعرفة مستوفي الدولة شرف الدين عبد الوهاب الشهير بالنشو[٧] بشغف السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالجواري الملاح، جعله يستعين بأشرار الناس ليدلوه في سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م على الجواري المولدات التي يحتفظ بهن أهل الوجه القبلي،

وأهل الوجه البحري، واجبر اربابهن لي حمل بعضهن إليه بزعم رغبة السلطان فيهن[٨].

وبلاد الأرمن وقاعدتها سيس[٩] يجلب منها الجواري البيض، ومن ذلك إرسال تكفور[١٠]ملك سيس هدية قيمة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) تتضمن الإبكار من الجواري[١١].

كما تعد بلاد الحبشة احد المصادر الرئيسة للرقيق الأسود، ومن ذلك قدوم رسول الحطي[١٢] داود بن سيف أرعد ملك الحبشة بكتاب في شهر ذي الحجة من سنة ٧٨٨هـ/١٣٧٦م للسلطان الظاهر برقوق، وبصحبته هدية عظيمة، منها الحبشيات من الجواري[١٣] .

ولما مات الحطي ملك الحبشة بن داود جمع سعد الدين المسلم عسكره سنة(٨٣٣هـ/١٤٢٩م) وأغار على بلاد امحرة، وقتل واسر وسبي خلقا كثيرا، واستسلم منهم أمم عظيمة، واقر كل من اسلم ببلاده، وولى عليهم من يحكمهم من قبله، فاتسع نطاق ملكه، وقويت عساكره، وكثرت أموالهم، وأرسل بالسبي إلى الأفاق البعيدة، قال الخطيب الصيرفي : ((فكثر الرقيق من العبيد والإماء ببلاد اليمن والهند والحجاز ومصر والشام والروم))[١٤].

وما حل بمدينة أسوان يعد أيضا سببا في زيادة الرقيق، فيذكر المقريزي ان أولاد الكنز من بعد سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) استولوا على أسوان بعد عدة حروب مع ولاة الصعيد، ثم زالت سيطرة المماليك بالكلية منذ سنة (٨٠٦هـ/١٣٠٤م)، حيث خرب إقليم الصعيد، ولم يبق للسلطان الناصر فرج بن برقوق في مدينة أسوان وال، واتضع حاله عدة سنين إلى أن زحفت قبيلة هوارة في المحرم من سنة(٨١٥هـ/١٤١٢م) على أسوان، وحاربت أولاد الكنز، وانتصر رجال هوارة على أولاد الكنز، وهزموهم، وقتلوا كثيرا من الناس، وسبوا ما هناك من النساء والأولاد، واسترقوا الجميع، ومضوا بالسبي بعد أن هدموا أسوار مدينة أسوان وتركوها خرابا يبابا[١٥].

ويذكر ابن إياس إن زيادة النيل أدت إلى زيادة بيع الجواري ، فبعد زيادة النيل في شهر جمادي الأولى من سنة (٨٠٧هـ/١٤٠٤م) غلت البزور، فبلغ القدح من بزر القرع، وبزر الجزر، وبزر البصل، مائة درهم ونيف، وتوقفت كثير من الأراضي عن الزراعة للزيادة المفرطة في ماء النيل، وعجز الفلاحون عن بذر الحبوب ولاسيما في أراضي الصعيد، قال ابن إياس:((فان أهلها بادوا بالجوع والبرد، وباعوا أولادهم بابخس

الأثمان، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق، ونقل الناس منهم إلى البلاد مالا يعد، فبيعوا في أقطار الأرض كما يباع السبي، ووطئ الجواري بملك اليمن))[١٦].

كما يجلب الرفيق الأبيض من بلاد الاص التي تقع في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة القرم، بالقرب من ثغر كافا، الذي كان من اكبر أسواق الرقيق الأبيض في العصور الوسطى[١٧].

ويذكر أن السلطان المنصور قلاوون كان يمتلك من المماليك الاص والجركس نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة، جعلهم في أبراج القلعة، وسماهم البرجية[١٨].

ومهما يكن من أمر، فان المماليك لم يكونوا جميعا من أصل واحد، بل من أجناس متنوعة، فمنهم التركي، والجركسي، والمغولي، والصيني، والاسباني، والألماني، واليوناني، والسلافي، وغير ذلك[١٩]، وهذا الحال انعكس ايضا على مصادر جلب هؤلاء ، إذ يظن إن تلك المناطق بعينها أو معظمها يجلب منها بيض الجواري.

ثانيا: أماكن بيع الجواري في السلطنة المملوكية:

ذكرت المصادر المتاحة بعض الأماكن التي يتم فيها بيع الجواري ضمن نطاق السلطنة الملكوية فهناك خان مسرور الذي يقع على يمين السالك من سوق باب الزهومة[٢٠] إلى الجامع الأزهر، إذ كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضعه المدرسة الكاملية[٢١].

وهناك سوق الرقيق الذي يقع تجاه المدرسة الحسامية التي بناها الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري، ويسلك منها إلى درب العداس والى حارة الوزيرية[٢٢].

والجواري السود يتم بيعهن في أسواق أسيوط والقاهرة التي كان بها وكالة خاصة لجلب هذا النوع من الجواري، ويستطيع الفرد أن يشتري منهن ماشاء، والسوق والوكالة كانتا بالقرب من جامع السلطان الاشرف فايتباى[٢٣].

واختصت وكالة كشك، وخان جعفر ببيع البيض من الجواري[٢٤]، بالإضافة إلى خان مسرور المتقدم وانشأ السلطان الاشرف قانصوه الغورى في شهر شوال من سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م سوقا بالقرب من خان الخليلي يباع فيه الرقيق، وأبطل السوق القديم الذي كان يباع فيه الرقيق، وصار العمل على هذا السوق من يومئذ[٢٥].

أما عن أسواق الجواري والرقيق في دمشق فهي ثلاثة : سوق برا او سوق المارستان، وسوق الشيخي،وخان الدكة او التكة، فالجواري فائقات الحسن والجمال كن يبعن في سوق الشيخي، ومن دونهن كن يبعن في خان الدكة، حيث كانت تعرض

الجواري على الدكة، وهذا الخان يقع مقابل جامع سيدي هشام في حارة الفسقار،وقد بنى في حدود سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م)[٢٦]،ويجري البيع في هذه الأسواق في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، ومعظم الرواد هم من المماليك الأثرياء من أهل دمشق[٢٧].

ثالثا: الأصول المرعية في بيع وشراء الجواري:

حددت المصادر الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى بيع الجواري ،كما حددت الأصول المرعية في بيع وشراء الجواري فالنخاس هو بائع الرقيق، ومنهن الجواري، وعمله يقتصر على الدلالة على الجارية التي يطلب إليه بيعها[٢٨]، ويشترط أن يكون أمينا، عادلا، مشهورا بالعفة والصيانة، لانه يتسلم جواري الناس، وربما اختلى بهن في منزله[٢٩].

ومن الأصول المرعية لهذه الوظيفة، فان على النخاس إلا يبيع لأحد جارية حتى يعرف البائع، أو يأتي إليه بمن يعرفه، ويثبت اسمه وصفته في دفتره لئلا تكون الجارية المراد بيعها حرة، أو مسروقة[٣٠]، وعليه أن يتفقد الشروط التي قد تكون بين المولى وجاريته ليعلم المشتري بذلك[٣١] ،كما لا يخفى عيبا أن كان في الجارية[٣٢] ومن أراد شراء جارية جاز له أن ينظر إلى وجهها وكفيها ، فأن طلب استعراضها في منزله والخلوة بها فلا يمكنه النخاس من ذلك، إلا في حضرة نساء عنده، ينظرون جميع بدنها،هذا كله قبل العقد، وأما بعده فله أن ينظر إلى جميع بدن الجارية[٣٣].

ولا يجوز التفريق بين الجارية وولدها[٣٤] قبل سبع سنين[٣٥]، كما لا يجوز بيع الجارية إذا كانت مسلمة لاحد من أهل الذمة[٣٦] ومن ذلك، إن السلطان الناصر محمد بن قلاوون في شهر رجب من سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) جمع النصارى واليهود وألزمهم بالشروط التي اشترطها عليهم الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) في زمنه، ومن بينها أن يمنعوا من شراء الرقيق المسلم[٣٧]. وقد تكرر ذلك في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، فقد ألزم السلطان الصالح صلاح الدين ابن الناصر محمد بن قلاوون النصارى واليهود بذات الشروط بعدها عادوا إلى اقتناء الجواري الجميلات من الأتراك والمولدات ولم يفرقوا بين المسلمات وغير المسلمات[٣٨].

ويبدو إن من أسباب منع النصارى من شراء الجواري المسلمات، أنهم كانوا يسعون إلى تنصيرهن، ودليل ذلك، إن شرف الدين موسى التنائي الأنصاري ناظر الجوالي طلب في يوم الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأول من سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م نصارى القاهرة لأنه بلغه أنهم يشترون الجواري المسلمات وينصرونهن، فأمرهم بإحضار ما عندهم من

الجواري لينظر في أمرهن، فان وجد الجارية في أصلها كانت مسلمة، أو كان الذي سباها من بلادها مسلما ردها الى الإسلام، وأمر صاحبها ببيعها، وقد ذكر المصدر إن شرف الدين استصفى لنفسه منهن(٣٩).

وفي بعض الأحيان يضيق على النصارى في شراء الجواري عموما، ولو كان ذلك الاقتناء بهدف الخدمة، ومن ذلك إن السلطان الاشرف قانصوه الغوري ألزم النصارى في شهر المحرم من سنة ٩١٩هـ/١٥١٣ بمبلغ عشرين ألف دينار، وذلك بسبب أنهم يشترى لهم الجواري اللاتي يخدمهن، وقد اشتكى بعض النصارى من فعل السلطان، فحنق منهم السلطان وضيق عليهم وصادرهم(٤٠).

ويحرم بيع الجارية لمن يتخذها للغناء(٤١) واستشهد ابن الأخوة بقوله تعالى:((ومن الناس من يشتري لهو الحديث))(٤٢)، بحديث النبي(صلى الله عليه واله وسلم):((لا تبيعوا القينات والمغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام))(٤٣).

ومتى علم النخاس إن بالمبيع عيبا وجب عليه بيانه للمشتري، لذا يستلزم الأمر إن يكون النخاس بصيرا بالعيوب، خبيرا بابتداء العلل والأمراض(٤٤).

رابعا:الجواري في قصور السلاطين:

تنافس السلاطين في اقتناء الجواري في العصر المملوكي، ومن مظاهر ذلك:

١. إن بعض السلاطين كانت أمهاتهم في الأصل من الجواري، ومن ذلك إن السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون(ت٧٤٧هـ/١٣٤٦م) كانت أمه جارية رومية(٤٥)، وكانت أم السلطان الملك الناصر حسن بن قلاوون(ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م) أم ولد(٤٦). والسلطان الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق(ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) أمه رومية(٤٧). أما السلطان الملك الناصر محمد بن الاشرف قايتباي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م) فقد كانت أمه جركسية تسمى أصل باي من مشتروات أبيه(٤٨).

٢. الهدايا التي يتلقاها السلاطين من غيرهم من الحكام والأمراء.

ذكرنا فيما سبق بعض الهدايا التي تلقاها سلاطين المماليك في معرض حديثنا عن مصادر وأماكن جلب الجواري، وهنا نذكر أمثلة أخرى تعزز كون الجواري من الهدايا القيمة التي يحرص الحكام والأمراء على تبادلها، فقد حضر نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز إلى الأبواب الشريفة في سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ليزور السلطان الناصر

محمد بن قلاوون، واحضر للسلطان هدية من بينها بيض الجواري، فسر الناصر بذلك وأكرمه، واخلع عليه[٤٩].

ولما أفرج السلطان الناصر حسن عن الملك المجاهد صاحب اليمن سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م،أهدى إلى السلطان هدية قيمة، من بين الجواري[٥٠]. وتوصلت عطايا الملك المجاهد صاحب اليمن للملك الناصر حسن، فقد قدم قاصده في المحرم من سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م يحمل هدية قيمة فيها الجواري الحسان[٥١]. وإرسال الأمير بيدمر نائب الشام في شهر صفر من سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م هدية عظيمة للسلطان المنصور علي بن الاشرف شعبان على يد الأمير خضر بك، منها عشرون جارية جركسية[٥٢].

وحرص ملوك اليمن على شراء ود سلاطين المماليك، ومن ذلك الهدية العظيمة التي أهداها الملك الاشرف ممهد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي بن داود في شهر ربيع الأول من سنة(٧٩٩هـ/١٣٩٦م)للسلطان الظاهر برقوق، وقد جاءت صحبة التاجر برهان الدين إبراهيم المحلي والطواشي[٥٣] افتخار الدين فاخر، ومن بينها ست جواري[٥٤].

وقدوم هدية الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة للسلطان الظاهر جمقمق في شهر شوال من سنة (٨٤٢هـ/١٣٤١م)، ومن جملتها جاريتان[٥٥].

٣. الهدايا التي يقدمها السلاطين للحكام الآخرين وللأمراء.

ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالجواري، وتقديرهم لأهميتهن بالنسبة لمن ماثلهم من الحكام ومن دخل تحت حكمهم من الأمراء، قاموا بإهدائهن إليهم، ومن ذلك، إن السلطان المظفر قطز انعم على الأمير بيبرس البند قداري في سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) بجارية مليحة من سبايا التتار[٥٦].

وتقديم السلطان الظاهر برقوق في شهر المحرم من سنة(٧٩٦هـ/١٣٩٣م) للقان احمد بن اويس صاحب بغداد عندما جاءه إلى مصر عشرين جارية جركسية من الأبكار[٥٧].

وأنعام السلطان الظاهر جقمق في شهر ربيع الأول من سنة (٨٤٣هـ/١٤٣٩م)على الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي قبل أن يسجنه ببرج الإسكندرية بعشر جوار[٥٨].

٤. جمع سلاطين المماليك للجواري.

كان سلاطين المماليك يحبون جمع الجواري، ومن ذلك ،إن السلطان الظاهر بيبرس كانت لديه في سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦ مائتا جارية، لكل جارية حلي فاخرة ما بين ذهب ولؤلؤ وفصوص[٥٩].

وتعلق قلب السلطان الناصر محمد بن قلاوون بحب الجواري، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجواري المولدات، وحملت إليه، حيث بلغ عددهن في سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م عنده نحو ألف ومائتي وصيفة ،وانشأ لهن سبع قاعات التي تشرف على الميدان وباب القرافة، وأسكنهن فيها[٦٠].

وعقد السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون نكاحه في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م على جاريتين من المولدات اللاتي في بيته، وكتب صداقتهما علاء الدين كاتب السر، فانعم عليه السلطان بعشرة آلاف درهم، وأمر جمال الدين ناظر الخواص[٦١] ان يجهزهما بمائة ألف دينار[٦٢].

وكان السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون يميل الى حب الجواري الحبش،والمولدات، والسود، وكان يحب من يمدح له السمر، والسود، فكان الشعراء يكثرون له من مدحهن، فمن ذلك قول زين الدين بن الوردي.

لو كان يرضى بحكمي　　　في الناس بيض وسود
لقلت للبيض بيضــوا　　　وقلت للســـــود سودوا

وقال ابن نباته:

يكون الخال فـــــي خد قبيح　　　فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من　　　يراه كله في العين خالا

وقال آخر:

سمراء تسبي الورى بشرط　　　كخنجر هم بالرقيب
إقامة عشقها طريقـــــــــا　　　يسير فيه إلى القلوب[٦٣]

وزاد الصالح إسماعيل أيضا من حبه وتعلق قلبه بجاريته نسيم حتى نظم الشعراء فيها الشعر الكثير، من ذلك قال احدهم:

إذ زاد الحبيب باشتيـــــاق　　　فقد زال العنا وقت الصباح
وان وافتك خمرا مع نسيم　　　فقد دام السرور بانشراحي

وقال آخر:

بدا السعد لي حين زار الجيب　　　وجاء الهنا ودام السرور

وجاءت نسيـــــم بتفاحـــــــة مباركة من غزال نفور[٦٤].

وعرضت جواري السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة(٧٤٧هـ:١٣٤٦م) فبلغ عددهن خمسمائة جارية[٦٥].

وشغف الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بجواريه شغفا زائدا، حتى اشتهر في أمرهن[٦٦] وافتتن الأشرف برسباي في سنة(٨٣٧هـ/١٤٣٣م) بحب جاريته الجركسية جلبان، وتزوجها وكانت بارعة الجمال، وامتحن بحبها الزائد[٦٧].

وكان للسلطان الاشرف برسباي في سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) من الجواري مائة وستون جارية يخدمنه ،وسبع عشرة جارية من المحظيات[٦٨].

ولما سجن السلطان الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي في بعض دور القلعة في سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م لم يستغن عن خدمه وجواريه،فقد كانت معه دادته سر النديم، الحبشية، وعدة من جواريه ما بين سراري وخدم[٦٩].

وانعم السلطان الظاهر جقمق على ولده عثمان بجارية وصيفه في شهر ذي الحجة من سنة(٨٥٣هـ/١٤٤٩م)، فبنى بها عثمان، وبشر السلطان بذلك، فانعم على من بشره بمائتي دينار فرحا بولده عثمان[٧٠].

وكان السلطان الظاهر جقمق(ت٨٥٧هـ/١٤٥٣م) كثير النكاح ، له عدة سراري[٧١].

خامسا: الجواري في بيوت الأمراء:

حاكى أمراء المماليك أسيادهم من السلاطين في جمع الجواري والشغف بهن، والأمثلة في هذا السياق كثيرة، يلاحظ إن أولئك الأمراء إذا ما تعرضوا لسخط السلاطين ومصادرة ما يملكونه، فانه يظهر مالديهم من إعداد مذهلة من الجواري ،ومن ذلك، إن السلطان الناصر محمد بن قلاوون لما قبض على الأمير سلار، وسجنه وصادره في سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م)، وجد للأمير من المماليك والخدام والعبيد والجواري، نحو ثلاثة آلاف رأس[٧٢].

ولما قام مستوفي الدولة شرف الدين عبد الوهاب الشهير بالنشو بمصادرة أمير العرب شهاب الدين احمد بن زعازع في سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) وجد عنده نحو مائتي وعشرين جارية[٧٣] وعندما قبض على الأمير تنكز نائب الشام بأمر من السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، ((ظهر له من الأملاك والضياع بمصر

والشام ما قوم بمائتي ألف دينار، هذا خارجا عن الخيول، والبغال، والجمال، والغلال، والمماليك، والعبيد، والجواري، وحلي نسائه))(٧٤).

ووجد عند الوزير علم الدين بن زنبور، لما قبض عليه بأمر السلطان الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة(٧٥٣هـ/١٣٥٢م) من الجواري والعبيد سبعمائة رأس،منهن مائتا سرية بيض، وحبش، وعثر عند نسائه وجواريه من الحلي والفصوص واللؤلؤ والقماش الفاخر ما لا يحصر(٧٥).

ونافس الاتابكي(٧٦) الأمير يلبغا (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) في ثرائه الفاحش السلاطين، فقد كان الوزير فخر الدين بن قزوينه يحمل إليه في كل يوم من اللحم ألف رطل، وكان مصروف سماطه كل يوم إلف دينار،هو وعياله ونساؤه وسراريه وأولاده ومماليكه(٧٧).

وتقاسم الأمراء بعد موت السلطان الملك الاشرف شعبان في سنة ٧٧٨هـ /١٣٧٦م جواريه، وهن من المستولدات(٧٨). ولما نفي الأمير بركة الجوباني، احتاط الاتابكي برقوق في ربيع الأول من سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م على ما يملك، فظهر له أشياء كثيرة منها الجواري(٧٩).

وتوجه الأمير منطاش إلى الشام بأمر السلطان الظاهر برقوق في شهر رمضان من سنة٧٨٨هـ/١٣٨٦م للقبض على الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام، وكلف بمصادرة جميع ممتلكاته بما فيها الجواري، وكن كثيرات(٨٠).

وقبض السلطان الظاهر برقوق في شهر صفر من سنة ٨٩٨هـ/١٣٩٥م على نساء وسراري الأمير جمال الدين الاستادار(٨١)، وصادر أمواله، ومن بين ذلك انه وجد عند جارية سوداء له زير كبير فيه مائة الف دينار، كما تم مصادره الحلي الخاصة بنسائه وجواريه(٨٢).

وكثر انشغال اتابك العساكر الأمير كمشيغا الحموي اليلبغاوي (ت٨٠١هـ /١٣٩٨م) بجمع الجواري ، والإقبال على الملذات(٨٣).

واصدر السلطان الناصر فرج بن برقوق أمره في سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م بإلقاء القبض على الأمير جمال الدين يوسف البيري لمساعدته غريم السلطان الأمير شيخ المحمودي، فقبض عليه، واحتيط على جميع ما يملكه بما في ذلك جواريه وحريمه وأثاث بيته، فظهر له مالا يحصر(٨٤).

وأفرج عن الوزير تاج الخطير في آخر شهر ربيع الآخر من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، بعد ما عوقب، وأخذت خيوله وجواريه، وظهر له من ذلك العدد الكبير(٨٥).

وأمر السلطان الظاهر جقمق في شهر رمضان من سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م بالقبض على أبي الخير النحاس وكيل بيت المال، فقبض عليه وضرب على سائر جسده خمسمائة عصاة، واخذ جميع ما معه من المماليك والجواري[٨٦].

سادسا: الأعمال التي تسند إلى الجواري:

يسند للجواري الكثير من الأعمال في المجتمع المملوكي، فهن متعه السلاطين والأمراء وكبار الأثرياء فمنهن المحظيات اللواتي شغف السلاطين بحبهن حتى صارت لهن المكانة الرفيعة، ومنهن المغنيات اللواتي يحضرن مجالس اللهو والشراب ، يضاف إلى ذلك ما يقمن به من أعمال متعلقة بالخدمة وغير ذلك، وقد جاء ذلك مذكورا في مصادر العصر المملوكي، ويمكن عرض ذلك على النحو الآتي:

١. مكانة جواري السلاطين والأمراء:

كان لجواري السلاطين والأمراء مكانتهن المرموقة داخل القصور، كما كان لهن الكلمة المسموعة عندهم بفضل أسرهن للقلوب والعقول، ومن أمثلة ذلك: تخصيص السلطان الناصر محمد بن قلاوون لجواريه سبع قاعات،أسكنهن فيها كما سبق بيانه- رفعة لقدرهن[٨٧]، وبلغت جاريته حدق القهرمانية من المكانة العالية عنده ما لم تبلغه سواها من جواريه، حيث جعل كل أمور نسائه لها، فتحكمت في داره تحكما عظيما حتى صار لا يقال لها ألا الست حدق، ولعذوبة كلامها ،وتذللها له، جعلته يلاطفها في كل حين، ويطيب خاطرها في كل موقف[٨٨].

وشفعت حظية السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سادس شهر ربيع الأول من سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) للأمير يلبغا الخاصكي[٨٩]،وأنقذته من عقوبة السلطان، وكان السلطان الناصر بلغه إن الأمير يلبغا يريد قتله، وانه اعتاد الدخول عليه في سلاحه الذي كان يخفيه تحت ثيابه، فاستدعاه، ثم أمر بنزع ثيابه كلها، وكتفت يداه للبدء في عقابه،فشفعت فيه إحدى حظايا السلطان،حتى خلى سبيله [٩٠].

واستودع السلطان الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون جواريه أوراقه التي كتبها بخطه، واحتوت أماكن أمواله وتفصيلها، لكن الطواشي مثقال الجمالي لما تعرض للعقوبة اقر بالخبر فالزمهن ذلك بالكشف عن الأموال وأماكنها في السابع من شهر صفر سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م[٩١].

ولما ولد للأمير الكبير برقوق ولد من جاريته اردو سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م سماه محمدا،ونظرا للمكانة العالية التي كانت تتمتع بها هذه الجارية عنده، أمر بإقامة حفل عظيم بهذه المناسبة السعيدة[٩٢].

وبلغت سراري السلطان الناصر فرج برقوق غاية العظمة لما خرجن بصحبته إلى الشام في شهر ذي الحجة من سنة ٨١٤هـ/١٤١١م، فقد حملن على محفات زركش[٩٣].

والحفل البهيج الذي عمله الأمير فخر الدين لما أعرس ببعض جواري السلطان المؤيد شيخ،في الثالث من شهر المحرم سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، فقد ذبح فيه ثمانية وعشرين فرسا، واغناما،بلغ زنة لحملها عشرة آلاف رطل، ومن الدجاج الفين ومائة دجاجة، ومن الإوز ثلاثة آلاف إوزة، ومن الدقيق ستة وخمسين قنطارا، ومن الزبيب خمسين قنطارا[٩٤].

وسورباي الجركسية إحدى سراري السلطان الظاهر جقمق، كانت ناشطة اجتماعيا،ووضعت يدها في العمل الخيري ، فهي صاحبة الحمام الذي يقع بالقرب من قناطر السباع، كما أنشأت سبيلا ببولاق، ولما ماتت سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، كانت جنازتها مشهودة من الأمراء وكبار الأعيان[٩٥].

وكان السلطان الظاهر خشقدم، متيما بحب سريته سورباي، محبا لذريته منها، فقد توفيت للسلطان في شهر ذي الحجة من سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م ابنة عمرها ست سنين من سريته سورباي ، فحزن عليها حزنا شديدا، حتى انه أوقف الخدمة في القصر السلطاني في يوم وفاتها[٩٦].

وعظم حزن السلطان الاشرف قايتباي على ابنته الشابة الجميلة المتأهلة للزواج، وكان قد فرح بولادتها واسماها ست الجراكسة، وكانت امها احدى سراريه، فلما كان شهر رجب من سنة ٨٩٧هـ/١٣٩٢م ماتت البنت وأمها في يوم واحد، وتقدم نعش الام على بنتها، وكانت الجنازة مشهودة من كبار الأعيان[٩٧].

وكانت الخوند[٩٨]أصل باي، زوجة الاشرف جانبلاط، وهي أم الناصر محمد بن قايتباي، وسرية الاشرف قايتباي، وأخت قانصوه الاشرفي صاحبة مكانة عظيمة وجاه، ومن ذلك ، انه لما أرادت الصعود إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء مستهل شهر المحرم من سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م كان صعودها يوما مشهودا((فشقت من الصليبة وهي على محفة زركش، وحولها الخدام من أعيان الطواشية، وقدامها اعيان المباشرين، وجماعة

من الخاصكية نحو خمسين انسانا، وهم بالشاش والقماش، وجماعة من المماليك نحو مائة انسان، وهم بالكوافي القندس والملاليط[٩٩]،وبأيديهم العصي يفسحون الناس))[١٠٠].

٢.الجواري المغنيات:

أدت الجواري المغنيات دورا بارزا في المجتمع المملوكي،وأضفنا عليه جوا من البهجة والسعادة وخاصة عند أصحاب الثراء من السلاطين والأمراء وكبار الأعيان، وافتتن بهن الكثير من أولئك، وقاموا باستدعائهن لمجالسهم ،بل حرصوا على اقتنائهن، وبذل كل نفيس لهن،والأمثلة في ذلك كثيرة، فجوق[١٠١] المغاني، من جواري السلاطين والأمراء يبرزن في الأعراس الخاصة، ويحيين لياليها الملاح، ففي عرس الأمير علي بن أرغون النائب على ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر شعبان سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، كان فيه ثماني جوق من مغاني القاهرة، وعشرون جوقة من جواري السلطان والأمراء، وقد نالت كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار، ومائة وخمسون تفصيلة[١٠٢] حرير،أما ما نالته جواري السلطان فلا يتسعه الحصر كثرة[١٠٣].

وهام الأمير أنوك بن الناصر محمد بن قلاوون(ت:٧٤٠هـ/١٣٣٩م) عشقا بالمغنية زهرة، فعمر لها دارا ببركة الجيش يلتقيها فيها، ولما علم والده بذلك أمر بمنعها عنه، فمرض أنوك حزنا عليها، ومازال كذلك إلى أن أتته سرا فتلهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقي، وساعدته أمه في وصله لزهرة إشفاقا عليه، لكن أنوك خاف من والده عندما جاء يضربه، فحمته أمه منه، إلا انه قد حصلت له رجفة كانت سببا في ضعفه ثم موته[١٠٤].

ولم يقف السلطان المنصور أبو بكر بن الناصر محمد بن قلاوون عن لهوه وعبثه، فمن الأسباب التي دعت إلى خلعه من السلطنة في يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر المحرم سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م) انشغاله بالفتيات والمغاني وشربه للخمر، وكان يطلب غلمانه في الليل ويبعثهم لإحضار المغاني، فيطلعون إليه رجالا ونساء، ويتعاقرون الخمر معه ويتهتكون باللعب واللهو، الأمر الذي لم يرق الأمراء الكبار، فطلبوا من الأمير طقزدمر النائب، أن يكلمه للكف عن إتيان ذلك لما في الأمر من مهانة لمقام السلطنة، فكلمه، إلا أن لومه زاده عنادا، فجاهر باللهو حتى تحدث بأمره عامة الأمراء وغيرهم[١٠٥].

وعندما وصل الأمير ملكتمر الحجازي، إلى القاهرة في يوم الأربعاء السابع من شهر شعبان سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م) قادما من سجن الإسكندرية، تلقته زوجته بجواريها وخدامها، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات[١٠٦] فرحا به[١٠٧].

وشغف السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون بالجواري السود، وأفرط في الجارية العوادة اتفاق، وأسرف في العطاء لها، وقرب إليه أهل الملاهي، واركب حظاياه الخيول العربية، وجعلهن يتسابقن، ويلعبن الكرة[١٠٨].

وبعد إعلان نبأ وفاة السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون في الرابع من شهر ربيع الأخر من سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٥م) دار الجواري بالملاهي يضربن الدفوف، والمخدرات حواسر يبكينه ويلطمن الخدود لموته[١٠٩].

كما عكف السلطان سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون على معاقرة الخمر،وسماع الأغاني، والإقبال على النساء، وافتتن بحب العوادة اتفاق ،حتى نالت منه السعادة، ومن ذلك انه عمل لها بعد أن ولدت منه، دائر بيت طوله اثنان وأربعون ذراعا، وعرضه ستة اذرع، تكلف خمسة وتسعين ألف دينار مصرية، والمخاد والمساند وغير ذلك، وكان لها أربعون بدلة مرصعة بالجوهر، وست عشرة بدلة دائرها زركش، وثمانون مقنعة تكلفت عشرين ألف درهم وغير ذلك[١١٠].

والسلطان المظفر زين الدين حاجي افتتن أيضا بمحبة العوادة اتفاق وشغلته عن سواها،حتى تزوجها خفية ونثر عليها الذهب واللؤلؤ، وطلب معلمها عبد علي العواد إلى القلعة ليقوم بالغناء له ثم أجزل له العطاء، وانعم على محظياته سلمى، والكركية، وكيدا، بالعطاء الجزيل[١١١].

وانشغل السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون بسماع آلآت الطرب، وحب القيان من النساء الملاح، وكان يقرب إليه المغنين وأرباب الفن، ويصطحبهم في أسفاره، ويطرب لسماع المغنين أمثال: دنيا الاقباعية الدمشقية،وعطعط، والدخان المشبب[١١٢].

والجارية المغنية خوبي كانت فائقة في ضرب العود، اشتراها الأمير بكتمر الساقي بعشرة آلاف دينار مصرية، حتى يقال انه لم يدخل مصر لها نظير، وقد أحبت سيدها، ولما بلغها موته كسرت عودها، فاشتراها الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم باعها للأمير بشتاك بستة آلاف دينار، ومكثت عنده، ويقال انه زوجها ببعض مماليكه سنة(٧٤٩هـ/١٣٤٨م)[١١٣].

وكان للسلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي جوقة مغاني يزفونه بالطارات عند الصباح، وعند المساء، ولما مات المنصور استمرت جواريه يقمن الأفراح للناس، ويعرفن بجوقة المنصور(١١٤).

وشغلت الجارية المغنية المشهورة دينابنت الاقباعي عند السلطان الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون مقاما رفيعا، وافتتن بغنجها وغنائها، أما آمنة بنت عبد الله امرأة بن المتولي، فقد كانت ملاذه الأمن ومكمن سره، فقد تخفى في بيتها خلال صراعه مع خصومه لفرط محبته لها، وثقته فيها(١١٥).

ومن الجواري المغنيات اللائي اطربن السلطان الاشرف قايتباي المغنية خديجة الرحبانية، وكانت جميلة، عذبة الغناء، افتتن الناس فيها، وتغنى الشعراء بها حتى قال احدهم:

رحبانية تخفي الشموس جمالها لهـــا حسن انشاد تزين مقالها
وقد خايلت بالبدر ليلة تمـــــــه فمازال من عيني وقلبي خيالها(١١٦)

وطلب الأمير احمد بن السلطان الاشرف أينال من مقدم المماليك السلطانية الأمير لؤلؤ(ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م) جارية له كانت تضرب بالجنك، فلما امتنع عن إجابته لما طلب، أضمرها الأمير في نفسه وعزله(١١٧).

٣. خدمة الجواري في القصور والبيوت:

ومن الأعمال التي لا تخرج عن صميم عمل الجواري، عملهن في خدمة قصور السلاطين وبيوت الأمراء وغيرهم من الناس، وهذا الأمر قلما تتحدث عنه المصادر، لكن نجد بعض الإشارات الدالة عليه، منها: إن الوزير فخر الدين ماجد بن خصيب كان عنده جاريتان تحسنان فنون الطبخ، تعرف كل واحدة منهما صنع ثمانين لونا من التقالي، سوى بقية ألوان الطعام(١١٨).

وفتك الطاعون في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م بمائة وستين جارية تخدم في قصر السلطان الاشرف برسباي(١١٩).

وأمر السلطان الظاهر جقمق بفك قيد الأمير أينال، ونقله من سجنه بصفد إلى موضع أوسع منه في سنة(٨٤٣هـ/١٤٣٩م)، وان يتوجه إليه من جواريه من تخدمه(١٢٠).

٤.أعمال أخرى للجواري:

وهناك من الأعمال والمهام يمكن تسجيلها للجواري، لكنها في الغالب محددة، وناشئة عن ظرف معين، ومن ذلك:

أ.تكليفهن في مهمة محددة: فالأمير علي بن المعز ايبك لما قبض على شجر الدر ٦٥٥هـ/١٢٥٧م سلمها إلى أمه، فأمرت جواريها أن يقتلوها بالقباقيب والنعال فضربوها حتى ماتت(١٢١).

ب قضاء حوائج سيداتهن: فعندما منع المحتسب الأمير دولات نجا بأمر من السلطان الاشرف برسباي في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م النساء من الخروج إلى الأسواق، سمح للإماء أن يخرجن لقضاء حوائج للحرائر، وكان سبب المنع ازدياد موت الناس بالطاعون، ووصية بعض العلماء للسلطان لرفع هذا الوباء أن يمنع النساء من ارتياد الأسواق نظرا لتبرجهن وتهتكهن في اللباس(١٢٢).

وقد تكرر هذا الدور في يوم الاثنين السادس من شهر جمادي الأولى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م لما منعت النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجواري، فامتنعن، ثم نودي بخروج النساء من غير تبرج بزينة(١٢٣).

جـ.إنقاذ أسيادهن من المكروه: فلما أراد السلطان الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي الهروب من الدار التي حبس فيها بعد عزله في يوم الاثنين رمضان من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، استطاعت جواريه نقب موضع من الدار بمساعدة الطباخ من الخارج، حتى تهيأ ذلك، وخرج العزيز(١٢٤).

سابعا: معاملة الجواري في العصر المملوكي:

تمثل الجواري في العصر المملوكي طبقة مهمة من النسيج الاجتماعي، وذلك لتعدد الأدوار التي يقمن بها فهن قريبات إلى معظم فئات المجتمع لدخولهن القصور والبيوت، واطلاعهن على أسرارها، لذا تطلب الأمر أن يعاملن معامله إنسانية لائقة ليتم الوئام بينهن وبين فئات المجتمع، واذا لم يتحقق ذلك صدرت عنهن سلوكيات تخرجهن عن السلوك السوي إلى ركوب الشر ونوازعه، وبيان ذلك في الآتي:

١.الإحسان إلى الجواري في عصر المماليك:

لعل أثمن شيء تتمناه كل جارية من سيدها هو ان يعتقها لتكون حرة الإرادة في نفسها وجميع شؤونها، ولقد أدرك الناس في العصر المملوكي هذا المعنى، والأمثلة، وان لم تسعفنا المصادر في جمعها فالظن يبقى فيها حقيقة مسلمة عند أصحاب القلوب الرحيمة والأنفس التي تتصف بالنبل والشهامة،ومن ذلك، فقد كان نائب قلعة دمشق(١٢٥) الأمير الكبير، المجاهد، المرابط، علم الدين ارجواش بن عبدالله المنصوري(ت٧٠١هـ/١٣٠١م)، ((ذا همة، وشهامة، وقصد صالح....ولم يخلف غير

أربع بنات، ووجد له من تركته من الذهب خمسة عشر ألف دينار، ومن الفضة خمسين ألف درهم، وأوصى بعتق مماليكه وجواريه، وأوقف عليهم وقفا))[١٢٦].

وفي عزة وإباء وإقدام، وتذكر وتدبر لما يسفر عنه حال الزوجات والجواري العزيزات، قال الأمير سيف الدين اسند مر الكرجي نائب طرابلس قبل لقاء المماليك للمغول عند القريتين[١٢٧] في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م: ((كل زوجة لي طالق، وكل جارية، وكل مملوك حر إن وليت ظهري حتى ابلغ قصدي))، فلما مات كن جواريه حرائر طليقات[١٢٨].

وفي موقف لافت تتجلى فيه الرحمة ونبل الأخلاق الإنسانية، ان السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون لما أعرس احد الطواشية على إحدى سراريه في شهر ذي القعدة من سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م، عمل السلطان لهما حفلا بهذه المناسبة حضرة جميع جواري بيت السلطان، وجلبت العروس على الطواشي، ونشر السلطان عليها الذهب بيده[١٢٩].

وفي خطوة محسوبة لها الدلالة الأكيدة على الوفاء لمن يعوله، أوصى السلطان الظاهر برقوق قبل وفاته في شهر شوال من سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م) بمائتي وعشرين ألف دينار لزوجاته، وسراريه ، وخدامه[١٣٠].

وكان الاتابكي قرقماس أميرا جليلا، اعتق جميع جواريه وعبيده قبل وفاته، وعندما مات في يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م كانت جنازنته مشهودة من جميع فئات المجتمع بالقاهرة[١٣١].

واستشعارا بالرحمة والرأفة، أرسل الأمير نوروز في شهر صفر من سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ولده وسراريه إلى نحو جبل الطور خوفا عليهم من الطاعون الذي عم انتشاره في مدن مصر[١٣٢].

٢.الإساءة إلى الجواري في عصر المماليك:

الظلم لا يقبل به عاقل، وهذا الظلم إذا وقع على فئة مغلوبة على أمرها من خروج صاحبها عن مألوف البشر وعن مبادئهم الفطرية المحبة للسلام، وقد تفنن البعض في الإساءة للجواري، ومن ذلك، أمر السلطان الاشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، الوزير سنجر الشجاعي أن يحتاط على ممتلكات الأمير طرنطاي فذهب الشجاعي إلى بيت طرنطاي واحتجز على مباشرينه، وعياله،ونسائه، وسراريه،

وحاشيته، واحضر لهم المعاصير[١٣٣]، وعصر جماعة منهم ليقروا على ما لديه من أموال وذخائر، فاضطروا إلى بيان ذلك من شدة ما قاسوا من العذاب[١٣٤].

وتهديد جواري السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون بالتوسيط[١٣٥] في سنة٧٤٧هــ/١٣٤٦م، إن لم يفصحن عن مكانه الذي اختفى فيه، فأقررن بمكانه في بيت الازيار، فهجموا عليه، فوجدوه قد دخل في الزير، وابتلت أثوابه بالماء، فقبضوا عليه من الزير[١٣٦].

وإلقاء القبض على جواري السلطان الملك العزيز يوسف بن الاشرف برسباي، ومنهن سر النديم دادة العزيز، ومرضعته، وجواري والده الاشرف وإخضاعهن للتهديد والوعيد للتحقق من مكان اختفائه، كما ضربت جارية مسكينة كانت تتكسب بكشف الطالع، اتهمت بأنها أخبرت احد الطواشية بان العزيز سوف يعود للحكم ثانية وكان ذلك في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٨٤٢هــ/١٤٣٨م[١٣٧] .

وفي سبيل الاستدلال على مكان اختفاء الظاهر قانصوه القي القبض على جواريه في شهر ذي الحجة من سنة(٩٠٥هــ/١٤٩٩م)، ثم حضر الوالي وعاقبهن، فلم يقررن بشيء[١٣٨].

ورافع احد المفسدين يقال له محمد بن الظاهر(ت٩١٩هــ١٥١٣م) جارية بيضاء يقال لها زوجة أينال باي، وكانت ساكنة في درب الحجر بالقرب من قنطرة سنقر، وادعى عليها زورا بأن عندها وديعة لأحد الأمراء، فلم تردها إليه، فلما سمع السلطان الاشرف قانصوه الغوري بالأمر أمر بالقبض عليها، فقبض عليها وألزمت بدفع عشرة آلاف دينار، فباعت جميع ما تملكه وسددت بعض المبلغ، فلما رأت أنها لم تقدر على سداد بقية المبلغ وصارت حبيسة شنقت نفسها بيدها تحت جنح الليل، قال ابن اياس:((ووقعتها مشهورة بين الناس، ولو عاش ابن ظاهر هذا لظهر منه للناس غاية الضرر))[١٣٩]. وكلام ابن اياس يدل على إنها كانت بريئة مما نسب إليها.

٣ . سوء بعض الجواري في عصر المماليك:

الجزاء من جنس العمل، فكل إساءة تلحق بهذه الفئة المغلوبة على أمرها يتولد عنها تلك الأفعال التي قد تخرجها عن نطاق الرحمة والسلوك الإنساني، وقد تكون الإساءة من غير مقابل، ويتوقف الأمر على عوامل أخرى قد تكون تربوية، او حب الشر المتأصل في بعض النفوس المريضة أو الساخطة على أحوال المجتمع او غير ذلك، والجواري وهن إحدى فئات المجتمع قد يصدر عنهن الأذى، شأنهن شان بنات جنسهن من الأحرار، ومن

ذلك دس جواري قاضي قضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن بن علي التفهني السم له، وموته بسبب ذلك في شهر شوال من سنة ٨٣٥هـ/١٤١٣م[١٤٠].
وقذف جارية لولد سيدتها البالغ من العمر ست سنين في النيل في شهر صفر من سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م[١٤١]، فغرق ومات، ولما عرضت الجارية على السلطان الاشرف برسباي، أرسلها إلى قاضي المالكية شمس الدين البساطي، فحكم بتغريقها في ذات المكان الذي أغرقت فيه الولد، ونفذ ذلك بحضور الجم الغفير من الناس[١٤٢].

واتهام الخوند سورباي وسراري الظاهر خشقدم بسرقة عشرين ألف دينار من خزانة السلطان الاشرف قايتباي في شهر رمضان من سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م، فاحتيط على سورباي، ومكثت تحت الملاحظة مدة حتى رضى السلان عنها[١٤٣]. وقتل جارية لسيدها بعد أن اتفقت سرا مع غلام على اخذ ماله والهرب سويا ،ولما قتلاه دفناه في الإسطبل ، فظهر أمرهما قبض عليهما، ولما علم السلطان الاشرف برسباي بالخبر أمر بشنقهما في شهر شوال من سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م[١٤٤]، وصلت جارية سوداء على باب زويلة في شهر رمضان من سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م، بعد قتلها لسيدتها[١٤٥] .

وشنق جارية بيضاء جركسية على جمبزة بالقرب من حدرة ابن قميحة بالقرب من الاحواض التي بطريق مصر العتيقة في شهر شوال من سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، وكانت الجارية قد حملت سفاحا من احد المماليك الجلبان للسلطان الاشرف برسباي فلما وضعت، قتلت طفلها من فرط خوفها، فلما علم السلطان بذلك شنق الجارية، واغرق المملوك، وقيل في رواية أخرى انه أخصاه ونفاه إلى الشام[١٤٦].

وقتل جارية سوداء لسيدتها، وولد سيدتها، وشقيق سيدتها في شهر صفر من سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، فلما عرضت على السلطان الاشرف قانصوه الغوري أمر بقطع يدها، وشهرت في شوارع القاهرة، ثم كلبت بالكلاليب وعلقت في المكان الذي قتلت فيه سيدتها إلى أن ماتت[١٤٧].

وتزوج إبراهيم بن علي الموصلي، العاتكي، الشهير بابن الملاح بجارية حبشية متهمة في شهر شعبان من سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م، فدفن في مكان من داره ألف دينار، ولما أراد السفر أستر لها بمكان المال، لكنها سرقت ذلك المال وأحرقت ذلك المكان، وادعت إن اللصوص اخذوا المال، واحرقوا المكان، فتبين الأمر بعد ذلك إنها هي التي أخذته[١٤٨].

وأمر السلطان الاشرف قانصوه الغوري في شهر ذي القعدة من ذات السنة بشنق ثلاث جواري وغلام قد قتلوا سيدتهم أم الأمير كسباي الدوادار(١٤٩)، فشنقوا على باب سيدتهم في نفس المكان الذي قتلوها فيه(١٥٠).

كما أمر السلطان نفسه في التاسع من شهر جمادي الآخرة سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م بشنق أربعة أشخاص ،منهم جارية بيضاء رومية، وجارية حبشية، وسبب ذلك إنهم قتلوا سيد الجاريتين والقوه في مستراح، واخذوا ما في بيته، وسافروا إلى اطفيح، وبعد خمسة أشهر كشفت جارية صغيرة أمرهم، فقبض عليهم احد مشايخ اطفيح وأرسلهم إلى السلطان الاشرف، فقررهم فاعترفوا بفعلتهم، وأرسل للكشف عن الرجل في المستراح فوجدوه وقد تقدد جلده، فأخرجوه، وأمر السلطان بدفنه،وشنق أولئك القتلة، فشنقوا في نفس المكان الذي قتلوا فيه الرجل(١٥١).

الخاتمة:

يتضح مما سبق إن الجواري في العصر المملوكي قد شكلت عنصرا أساسيا من حياة ذلك المجتمع وخاصة طبقة المترفين منهم وفي مقدمتهم السلاطين والأمراء في الدولة المملوكية، وشغفهم بشراءهن والاستكثار بجمهعن نزولا لنزواتهم الخاصة متخذين من معظمهن زوجات لهم خاصة القريبات من أصول أمهات هؤلاء السلاطين والأمراء، وما شكله ذلك من دور مؤثر للجواري في حياة المجتمع المملوكي، استحق الاهتمام به في الدراسات التاريخية الحضارية لكونهن وقعن ضمن النسيج الاجتماعي، ولعل البحث قد نجح في إبراز بعض عطاءهن.

الهوامش:

(١). المقريزي: تقي الدين احمد بن علي(ت٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،ج١، طبعة دار صادر(بيروت: بلا سنة ط)، ص١٩١.

(٢). ابن إياس: محمد بن احمد(ت٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، ج١، ق١، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة والإرشاد القومي،(القاهرة: ١٩٨٢-١٩٨٤)، ص٣٣٥.

(٣). م.ن، ص٣٥٩.

(٤). الأبواب السلطانية: هي مقام السلطان وحضرته، وينظر عنها المكاتبات والمراسيم. انظر: القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي(ت:٨٢١هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، طبع وزارة

الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر،(القاهرة: ١٩٦٣)، ج٧،ص٦١، ١٥٦وج٨،ص١٣.

(٥). ابن اياس، المصدر السابق،٤٤١/١. اخلع والاسم خلعة، أي اسبغ عليه خلعة.

(٦). العيني: بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى(ت:٨٥٥هـ)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تح:محمد امين، ج٤، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة: ١٩٩٢)، ص٣٤٦.

(٧). عبد الوهاب بن فضل الله، القاضي شرف الدين، القبطي الأصل، ناظر الخاص في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وقد وثق به السلطان، فقر به، فكثر اعداؤه، ووشوا به للسلطان، فقبض عليه وعلى اهل بيته في الثاني من شهر صفر سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، حيث تم مصادرتهم، ثم ماتوا تحت العقاب. انظر: ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر(ت٧٤٩هـ)، تتمة المختصر في اخبار بني البشر ،ج٢،(النجف: ١٩٦٩) ص٤٦٤؛ الشجاعي: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي، تح: بربارة شيفر، ج١،(فيسبادن:١٩٧٨)،ص٩١؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح:محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور،ج٢، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد القومي،(القاهرة:١٩٣٤-١٩٧٣)،ص٤٨٥-٤٨٦؛ ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة،ج٩، نشر المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب،(القاهرة:١٩٦٣-١٩٧٢)، ص١٣١-١٤٣.

(٨). اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الظاهر، دراسة وتحقيق: احمد حطيط، ج٢، طبعة عالم الكتب،(بيروت: ١٩٨٦)، ص٣٦١.

(٩). سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين انطاكيا وطرسوس على عين زرية وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الارمني. الحموي: ياقوت بن عبدالله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان،ج٥،مج٣،دار أحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع،ط١،(بيروت:٢٠٠٨م)، ص١٠٥.

(١٠).تكفور: لقب يطلق على متملك بلاد الأرمن.انظر. الباشا: حسن ، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، طبعة دار النهضة العربية،(القاهرة: ١٩٧٨)، ص٢٣٣.

(١١).اليوسفي، المصدر السابق، ص٤٠٥.

(١٢).الحطي: لقب عام لملوك الحبشة استحدث في العصر المملوكي، وكان يذكر في المكاتبات اليهم عن السلطان في مصر. انظر: القلقشندي: صبح الاعشى،٤٨٥/٥ و٣٩/٨-٤٠.

(١٣). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق٢،ص٣٧٩.

(١٤). الخطيب الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، تح: حسن حبشي،ج٣، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية،(القاهرة: ١٩٧٠-١٩٧٣)، ص٢٠٤.

(١٥).المقريزي، لخطط المقريزية، ١٩٨/١-١٩٩.

(١٦). ابن إياس، المصدر السابق، ص٦٩٧.

(١٧). القلقشندي، المصدر السابق، ٤٦٠/٤، ٤٦١، ٤٦٥.

(١٨). المقريزي، السلوك، ٧٥٦/١.

(١٩). عاشور: سعيد عبد الفتاح، العصر المملوكي في مصر الشام،ط٢، نشر دار النهضة العربية،(القاهرة: ١٩٧٦) ص٣٢٠.

(٢٠). سوق باب الزهومة: من اجل أسواق القاهرة وأفخرها بحسن المأكل وطيبها، والزهومة كان في أيام الدولة الفاطمية من أبواب القصر، وكان موضع السوق بالقرب من الصيارف، ويقابله سوق السيوفيين أما في زمن المماليك فصار سوق السيوفيين جوار سوق الصاغة إلى درب السلسلة، وسمي بالزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل مطبخ القصر انما تدخل من هذا الباب، فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر. المقريزي، الخطط، ٤٣٥/١وج٢ص ٩٧.

(٢١). المقريزي، م.ن،٩٢/٢.

(٢٢). أما درب العداس فيقع فيما بين دار الديباج والوزيرية، عرف بعلي بن عمر العداس صاحب سقيفة العداس، وأما حارة الوزيرية فهي تنسب الى طائفة يقال لها الوزيرية من جملة طوائف العسكر، وكانت اولا تعرف بحارة بستان المصمودي، وعرفت أيضا بحارة الأكراد، والوزيرية منسوبة الى الوزير الفاطمي يعقوب بن يوسف بن كلس، كان يهوديا من اهل بغداد فخرج منها الى بلاد الشام ونزل مدينة الرملة وأقام بها فصار وكيلا للتجار بها، فصار عليه بعض الاموال التي عجز عن سدادها فقر الى مصر في أيام كافور الاخشيدي،فخدم كافور. المقريزي، المصدر السابق، ص٥، ٤٢، ٣٨٦.

(٢٣). نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، نشر الهيئة المصرية العامة الكتاب،(القاهرة: ١٩٧٣)، ص٢٢٤.

(٢٤). م.ن.

(٢٥). ابن اياس، المصدر السابق، ٤٠٣/٤-٤٠٥.

(٢٦). الحلبي: اكرم حسن، خطط دمشق، نسخة دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع،(دمشق: ١٩٨٩)،ص٤٧٣.

(٢٧). م.ن، ص٤٤٧، ٤٥٢.

(٢٨). الصعيدي وموسى، الافصاح في فقه اللغة، طبع دار الكتب المصرية،(القاهرة: ١٩٢٩)، ص٥٧٦.

(٢٩). ابن الاخوة، معالم القربة في احكام الحسبة، تح: محمد محمود شعبان وصديق احمد عيسى المطيعي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة: ١٩٧٦)، ص٢٣٨؛ الشيزري، عبد الرحمن بن نصرة، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني،ط٢، طبع دار الثقافة،(بيروت: ١٩٨١)، ص٨٤.

(٣٠). الشيزري، المصدر السابق، ص٨٤؛ ابن الاخوة، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٣١). ابن الاخوة، المصدر السابق.

(٣٢). الشيرزي،م.ن؛ ابن الاخوة ،م.ن.

(٣٣). انظر المصدرين السابقين.

(٣٤). انظر المصدرين السابقين.

(٣٥). الشيرزي، المصدر السابق.

(٣٦). ابن الاخوة، م.ن؛ الشيرزي، م.ن.

(٣٧). المقريزي، السلوك، ٩١٠/١-٩١١، وحاشية رقم ١.

(٣٨). م.ن، ٩٢٢/٢-٩٢٣.

(٣٩). ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تح: فهيم محمد شلتوت،ج١، طبع وزارة الاوقاف في جمهورية مصر العربية، لجنة احياء التراث الاسلامي بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،(القاهرة: بلا سنة ط)،ص٢٩٨.

(٤٠). ابن اياس، المصدر السابق، ٢٩٧/٤.

(٤١). ابن الاخوة، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٤٢). سورة لقمان: اية رقم ٦.

(٤٣). انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي عن الكتب السنة وعن مسند الدارمي وموطا مالك ومسند احمد بن حنبل، ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره: أ.ي. ونسينك وي.ب. منسنج، اتبع نشره: ى. بروخمان، ج٥، دار الدعوة،(استانبول: ١٩٨٨)، ص٥٠٦.

(٤٤). ابن الأخوة، المصدر السابق، ص٢٣٨-٢٣٩؛ الشيزري، المصدر السابق، ص٨٤.

(٤٥). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥١٢.

(٤٦). ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، ج٥، نشر مركز تحقيق التراث، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة: ١٩٨٨)، ص١٢٦؛ ابن إياس، المصدر السابق، ص٥٧٧.

(٤٧). ابن إياس، المصدر السابق، ٣٠١/٢.

(٤٨). م.ن، ١٩٧/٣، ٣٣٤.

(٤٩). م.ن، ج١، ق١، ص٤٦١.

(٥٠). م.ن، ص٥٣٧.

(٥١). م.ن، ص٥٧٢.

(٥٢). م.ن، ج١، ق٢، ص٢٥٤.

(٥٣). الطواشي: والجمع طواشية ،وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. دهمان: محمد احمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر الملوكي، نشر دار الفكر،(دمشق:١٩٩٠م)، ص١٠٩.

(٥٤). ابن اياس، المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٤٨٧.

(٥٥). المقريزي، السلوك، ١١٢٥/٤.

(٥٦). ابن اياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٣٠٧.

(٥٧). م.ن ج١، ق٢، ص٤٦٥.

(٥٨). م.ن، ٢٢٠/٢.

(٥٩). م.ن، ج١، ق١، ص٣٣٧.

(٦٠). المقريزي، السلوك، ٢/٥٤٦؛ المقريزي، الخطط، ٢/ ٢١٢.

(٦١). ناظر الخاص: هو الذي ينظر في خاص اموال السلطان. انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/٤٦٥؛ دهمان، المرجع السابق، ص١٥٠.

(٦٢). المقريزي، السلوك، ٢/٥٦٦.

(٦٣). ابن اياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥٠٥.

(٦٤). م.ن ص٥٠٦.

(٦٥). المقريزي، السلوك، ٢/ ٧١٥.

(٦٦). م.ن، ٣/٦٢.

(٦٧). الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ٣/٢٨٤.

(٦٨). م.ن، ٣/ ٤١٣.

(٦٩). المقريزي، السلوك، ٤/ ١٠٨٧.

(٧٠). ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ١/ ١٧٤.

(٧١). ابن إياس، المصدر السابق، ٢/٣٠٠.

(٧٢). م.ن، ج١، ق١، ص٤٣٨.

(٧٣). اليوسفي، المصدر السابق، ص٣٤٥.

(٧٤). ابن إياس ، المصدر السابق، ص٤٧٨.

(٧٥). م.ن، ص٥٤٥، ٥٤٦.

(٧٦). الاتابكي: يطلق على مقدم العساكر، أو القائد العام على اعتبار انه أبو العساكر والأمراء جميعا، وهو اكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل. انظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ٤/ ١٨؛ دهمان، المرجع السابق، ص١١.

(٧٧). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٥١.

(٧٨). م.ن ص١٩٤.

(٧٩). م.ن، ص٢٦٣.

(٨٠). م.ن، ص٣٧٥.

(٨١). الاستادار، هو المتحدث في امر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وهو الذي يمشي بطلب السلطان، ويحكم في غلمانه وباب داره، واليه أمر الجاشنكيرية، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٤/ ٢٠.

(٨٢). ابن اياس، المصدر السابق،ص٤٧٨، ٤٨٠.

(٨٣). الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ٢/٢٦-٢٧.

(٨٤). م.ن، ٢/٢٥٤-٢٥٥.

(٨٥). المقريزي، السلوك، ٤/١٠٩٩.

(٨٦). ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ١/ ٢٤١.

(٨٧). المقريزي، الخطط، ٢/ ٢١٢.
(٨٨). اليوسفي، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩.
(٨٩). الخاصكية: جماعة من المماليك السلطانية ممن دخلوا في خدمة السلطان صغارا، يدخلون عليه بدون استئذان ويلازمونه في خلواته، ويسوقون المحمل الشريف، ويتعينون بكوامل الكفال، ويتوجهون في المهمات الشريفة، ويركبون لركوب السلطان ليلا ونهارا،وكان عدتهم أيام الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكيا.القلقشندي،المصدر السابق،٤/ ١١٥.
(٩٠). المقريزي، السلوك، ٣/٦.
(٩١).م.ن، ص٣٥٤.
(٩٢).م.ن، ص٣٨٠.
(٩٣). ابن إياس، المصدر السابق،ج١، ق٢، ص٨١٦. والمحفة: هي الهودج، وزركش النوب صبغه ولونه، والمعنى هودج ملون. انظر: القلقشندي المصدر السابق، ٥/ ٨٣، ٤٧٠.
(٩٤). المقريزي، السلوك، ٤/ ٤٣٤.
(٩٥). ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ١/ ١٢٥؛ ابن إياس، المصدر السابق، ٢/ ٢٦٣.
(٩٦). ابن إياس، م.ن، ٢/٤٤٠.
(٩٧).م.ن، ٣/ ٣٨٨.
(٩٨). الخوند: لقب يستعمل في مخاطبة زوجات السلطان أو أقاربه. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٧/ ١٦٦.
(٩٩). الملاليط: ومفردها ملوطة، وهي ثوب واسع يلبس فوق غيره من الملابس، أو ملبوس واسع الأكمام. انظر: البقلي: محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة: ١٩٨٣) ص٣٢٨.
(١٠٠). ابن إياس، المصدر السابق، ٣/٤٤٤-٤٤٥.
(١٠١). جوق: ومفردها جوقة، مجموعة من المطربين إذا اجتمعوا ، وقد تطلق أيضا على آلات الطرب إذا عزفت سويا. انظر: البقلي، المرجع السابق، ص٣٥٣.
(١٠٢). تفصيلة: هي الثوب الجديد المفصل لمن يلبسه، يكون غالي الثمن. انظر: دهمان، المرجع السابق، ص٤٦.
(١٠٣). المقريزي، السلوك، ٢/٢٤٩.
(١٠٤). ابن حجر: احمد بن علي العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج١، نشر دار الجيل،(بيروت: بلا سنة ط)، ص٤١٨؛ المقريزي، السلوك، ٢/٤٩٢.
(١٠٥). المقريزي، السلوك، ٢/ ٥٦٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٠/١٢.
(١٠٦). الشبابات:مفردها شبابة وهي الآلة المتخذة من القصب المجوف، يقال لها أيضا(اليراع) باسم ما اتخذت منه، وهو اليراع يعني القصب وربما عبر عنها بالمزمار العراقي. فيها سبعة انجاش- حسب الكواكب السيارة- بسدادات، وضعت وضعا متعارفا، حتى تحدث النسب بين الأصوات فيها وتتصل كذلك

متناسبة، فيتلذذ فيها السمع. انظر. العصفور: سعود ، الألعاب ووسائل التسلية في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، العدد١٧،(يناير: ٢٠٠٥)، ص٩٩٨.

(١٠٧). المقريزي، السلوك، ٢/٥٩٥.

(١٠٨). م.ن، ٢/٦٧٨-٦٧٩ لعب الكرة، ويراد هنا اللعبة المعروفة الآن باسم **Polpo** وهي رياضة درج على ممارستها الملوك والسلاطين زمن الأيوبيين والمماليك. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ٤/ ٤٧.

(١٠٩). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٠/ ٩٨.

(١١٠). م.ن، ١٠/ ١٥٠؛ المقريزي، السلوك، ٢/ ٦٨٣، ٧١٣، ٧١٥؛ ابن العماد الحنبلي: ابو الفلاح عبد الحي(ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦، طبعة دار إحياء التراث العربي،(بيروت: بلا سنة ط)، ص١٥٠-١٥١.

(١١١). ابن تغري بردي، م.ن، ١٠/١٥٣-١٥٤؛ المقريزي، م.ن، ٢/ ٧٢١.

(١١٢). م.ن، ١٠/٣١٥؛ المقريزي، م.ن، ٣/ ٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العصر، تح: حسن حبشي، ج١،(القاهرة: ١٩١٩)، ص١٦٣-١٦٤؛ ابن إياس، المصدر السابق، ١/ ٥٧٩.

(١١٣). ابن قاضي شهبة: بدر الدين(ت٨٧٤هـ)، تاريخه، تح: عدنان درويش، ج١، مج٢، نشر المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق،(دمشق ١٩٩٤)، ص٦٥٨.

(١١٤). ابن إياس، المصدر السابق،ج١، ق١، ص٦٩٣ وج١ ق٢، ص٥١١.

(١١٥). ابن حجر، أنباء الغمر، ١/٢٩-١٣٠، ١٦٣-١٦٤؛ ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، مج٣، ج٢، ص٥٦١.

(١١٦). ابن سعيد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٢، نشر دار مكتبة الحياة،(بيروت: ١٩٩٢)، ص٣٣؛ ابن إياس، المصدر السابق، ٣/ ١٨٥.

(١١٧). الخطيب الصيرفي، أبناء العصر بأنباء العصر، تح: حسن حبشي، طباعة. ونشر دار الفكر العربي،(القاهرة: ١٩٧٠)، ص٩١.

(١١٨). ابن إياس، المصدر السابق، ج١ق١، ص٥٧٤.

(١١٩). م.ن.

(١٢٠). المقريزي، السلوك، ٤/ ١١٨٩.

(١٢١). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٢٩٤.

(١٢٢). م.ن.

(١٢٣). المقريزي، السلوك، ٤/ ١٠٩.

(١٢٤). م.ن، ص١١١٧.

(١٢٥). قلعة دمشق. قلعة حصينة تقع في غرب مدينة دمشق، بناها تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، وجعلها دار إمارة وسكنها وزاد فيها خلفاؤه. الحموي، معجم،٢/٤٦٥.

(١٢٦). العيني، المصدر السابق، ٤/ ٢٠٤.

(١٢٧). قرية من أعمال حمص تدعى أيضا حوارين. انظر الحموي، معجم، ٢/٣١٥-٣١٦.

(١٢٨). العيني، المصدر السابق، ٤:٢٢١.

(١٢٩). المقريزي، السلوك، ٢/ ٦٩٦.

(١٣٠). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق٢، ص٥٢٥.

(١٣١). م.ن، ٤/ ١٩٧-١٩٨.

(١٣٢). م.ن، ص٢٩٩؛ والطور أيضا جبل عند كورة تشتمل على عدة قرى تعرف بهذا الاسم بأرض مصر القبلية وبالقرب منها جبل فاران. انظر الحموي ، معجم ، ٣/٢٧١.

(١٣٣). المعاصير. الآلة التي تستخدم تسمى معصرة، وهي مكونة من خشبتين مربوطتين ببعضهما، يوضع العضو المراد عصره من المذنب، ثم تشد الخشبتان شدا وثيقا، وكلما زاد الشد زاد الألم، وكثيرا أما أدى ذلك إلى كسر عظم المعصور أو تلف العضو المعصور. انظر . ابن إياس، المصدر السابق، ٤/٥١؛ المقريزي، السلوك،١/٧٤٠؛ العصفور: سعود، وسائل التعذيب في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس مج٣١، يناير،(مارس: ٢٠٠٣)، ص٨٧.

(١٣٤). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٣٦٦.

(١٣٥). التوسيط، تعرية جسم المحكوم عليه بالموت من ثيابه ، ثم ضربه بالسيف ضربة قوية تحت السرة تقسم جسمه نصفين فتندلق أمعاؤه إلى الأرض، ويعد التوسيط وسيلة شائعة في العصر المملوكي، وهي اشد من قطع الرقبة. انظر المقريزي، السلوك، ١/٤٠٤، حاشية رقم١؛ سعود العصفور، الرجع السابق، ص٨٣-٨٤.

(١٣٦). ابن إياس، المصدر السابق، ج١، ق١، ص٥١١.

(١٣٧). المقريزي، السلوك، ٤، ١١٣٠-١١٣١.

(١٣٨). ابن إياس، المصدر السابق، ٣/ ٤٤١.

(١٣٩). م.ن، ٤/ ٣١٢-٣١٣.

(١٤٠). م.ن، ٢/ ١٤٢.

(١٤١). م.ن، ص١٦٠.

(١٤٢). م.ن، ٣/ ١١.

(١٤٣). م.ن، ص٧٠.

(١٤٤). م.ن.

(١٤٥). م.ن، ٣/ ٨٣.

(١٤٦). م.ن، ص١٠٥.

(١٤٧). م.ن، ٤/ ٩٦.

(١٤٨). ابن طولون: شمس الدين محمد بن طولون الصالحي(ت٩٥٣هــ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تح: محمد مصطفى، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نسخة المؤسسة المصرية العامة التأليف والترجمة والطباعة والنشر،(القاهرة: ١٩٦٢)، ق١، ص٣٤٧-٣٤٨.

(١٤٩). الدوادار. لقب يطلق على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولى أمرها، وهو اسم فارسي مركب من لفظين احدهما عربي وهو الدواة، والثاني دار بمعنى ممسك. والدوادار من مهامه تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغه عامة الأمور، وتقديم القصص إليه، وتقديم البريد إليه هو وأمير جاندار وكاتب السر، ويأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتواقيع والكتب، وإذ خرج عن السلطان بكتابة شيء مرسوم، حمل رسالته وعينت فيما يكتب، واذا جاء الكتاب أخذه الدوادار فيمسحه بوجه البريدي، ثم يناوله السلطان فيفتحه، ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه، ويأمر السلطان فيه بأمره. انظر المقريزي السلوك، ٢/٢٢٢؛ القلقشندي،صبح الأعشى، ٤/ ١٩ و٥/٤٦٢.

(١٥٠). ابن إياس، المصدر السابق، ٤/ ٢٠٢.

(١٥١). م.ن، ص٤٦١.

Al-jawary in the mamluki slain(Historical Study)

Abstract

I knew Nations slavery since ancient times and that wars were an essential source has represented it in captivity or as part of the obligatory imposed on the losers, and promised Nubia and Abyssinia of the main places that bring them black slaves at the time of the Mamluks were also country Alagafjaq and Armenians is one of those places to bring the white slave and including slaves, to be sold in places selling within the Sultanate Mamluk, Khan was delighted, Assiut markets and Cairo is famous in the sale of slaves in Egypt but in the Sham was the market Almarstan market Alsheky and Khan bench or Altkh being where the sale of slaves in on Monday and Thursday of each week is months in Damascus, and called vendorslaves and concubines) AlNkhas ,(which required to be honest and fair and famous chastity and maintenance., and called the vendor and slave concubines)Slaver (which is required to be honest and fair and famous chastity and maintenance. One manifestation of interest sultans and princes in the acquisition of slaves and Jmahen in the Mamluk era is that some of these mothers originally from slaves as promised last of the gifts received by the sultans of other rulers and princes, and has been assigned to my neighborhood a lot of business in society Mamluk They fun sultans and princes and wealthy, whom Mahziat and women singers and women of Ikmn work service and so on, which ask the community to treat them humanely decent to be harmony between them and between the community and gave freedom to some very much what they come from great services to Their masters and others received punishment to death penalty committed their hands clear of work reflect the treason and treachery towards Their masters .